

تاريخ ظهور وتعاطي المخدرات:

ورد في تراث الحضارات القديمة آثار كثيرة تدل على معرفة الإنسان بالمواد المخدرة منذ تلك الأزمنة البعيدة، وقد وجدت تلك الآثار على شكل نقوش على جدران المعابد أو كتابات على أوراق البردى المصرية القديمة أو كأساطير مروية تناقلتها الأجيال. فافهلوس على سبيل المثال كانوا يعتقدون أن الإله (شفيا) هو الذى يأتى بنبات القنب من المحيط، ثم تستخرج منه باقى الآلهة ما وصفوه بالرحيق الإلهى ويقصدون به الحشيش.

ونقش الإغريق صورًا لنبات الحشخاش على جدران المقابر والمعابد، واختلف المدلول الرمزى لهذه النقوش حسب الآلهة التى تمسك بها، ففى يد الآلهة (هيرا) تعنى الأمومة، والآلهة (ديميتر) تعنى خصوبة الأرض، والإله (بلوتو) تعنى الموت أو النوم الأبدى.

أما قبائل الإنديز فقد انتشرت بينهم أسطورة تقول بأن امرأة نزلت من السماء لتخفف آلام الناس، وتجلب لهم نومًا لذيذًا، وتحولت بفضل القوة الإلهية إلى شجرة الكوكا حيث كان الهنود يقطفون أوراق نبات الكوكا ويقومون بتحويله إلى عصير سمي بمشروب الكوكا وأصبح مشروبًا شعبيًا لديهم.

وفىما يأتى نتناول تاريخ أشهر أنواع المخدرات التى عرفها الإنسان.

أولاً: الكحوليات

تعتبر الكحوليات من أقدم المواد المخدرة التي تعاطاها الإنسان، وكانت الصين أسبق المجتمعات إلى معرفة عمليات التخمير الطبيعية لأنواع مختلفة من الأطعمة، فقد صنع الصينيون الخمر من الأرز والبطاطا والقمح والشعير، وتعاطوا أنواعاً من المشروبات كانوا يطلقون عليها "جيو" أي النبيذ، ثم انتقل إليهم نبيذ العنب من العالم الغربي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد تقريباً بعد الاتصالات التي جرت بين الإمبراطوريتين الصينية والرومانية. واقرن تقديم المشروبات الكحولية في الصين القديمة بعدد من المناسبات الاجتماعية مثل تقديم الأضياف للآفة أو الاحتفال بنصر عسكري.

وهذا نموذج ليس متفرداً في قدم وتلفائية معرفة الإنسان للكحوليات، كما لهذا النموذج شبيه في الحضارات المصرية والهندية والرومانية واليونانية، كما عرفت الكحوليات المجتمعات والقبائل البدائية في أفريقيا وآسيا.

ثانياً: الخشيش (القنب الهندي)

القنب كلمة لاتينية معناها ضوضاء، وقد سمي الخشيش بهذا الاسم؛ لأن متعاطيه يحدث ضوضاء بعد وصول المادة المخدرة إلى ذروة مفعولها. ومن المادة الفعالة في نبات القنب هذا يصنع الخشيش، ومعناه في اللغة العربية "العشب" أو النبات البري، ويرى بعض الباحثين أن كلمة خشيش مشتقة من الكلمة العبرية "شميش" التي

تعني الفرح، انطلاقاً مما يشعر به المتعاطي من نشوة وفرح عند تعاطيه الحشيش. وقد عرفت الشعوب القديمة نبات القنب واستخدمته في أغراض متعددة، فصنعت من أليافه الحبال وأنواعاً من الأقمشة، واستعمل كذلك في أغراض دينية وترويقية. ومن أوائل الشعوب التي عرفت استخدامه الشعب الصيني، فقد عرفه الإمبراطور «شن ننج» عام ٢٧٣٧ ق.م وأطلق عليه حينها واهب السعادة، أما الهندوس فقد سموه مخفف الأحزان.

وفي القرن السابع قبل الميلاد استعمله الآشوريون في حفلاتهم الدينية وسموه نبتة "كونوبو"، واشتق العالم النباتي "ليناوس" سنة ١٧٥٣م من هذه التسمية كلمة "كنايبس" Cannabis. وكان الكهنة الهنود يعتبرون الكنايبس (القنب - الحشيش) من أصل إلهي لما له من تأثير كبير، واستخدموه في طقوسهم وحفلاتهم الدينية، وورد ذكره في أساطيرهم القديمة ووصفوه بأنه أحب شراب إلى الإله "آندرا"، ولا يزال يستخدم هذا النبات في معابد الهندوس والسيخ في الهند ونيبال ومعابد أتباع شيتا في الأعياد المقدسة حتى الآن.

وقد عرف العالم الإسلامي الحشيش في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث استعمله قائد القرامطة في آسيا الوسطى حسن بن صباح، وكان يقدمه مكافأة لأفراد مجموعته البارزين، وقد عرف منذ ذلك الوقت باسم الحشيش، وعرفت هذه الفرقة بالحشاشين.

أما أوروبا فعرفت الخشيش في القرن السابع عشر عن طريق حركة الاستشراق التي ركزت في كتاباتها على الهند وفارس والعالم العربي، ونقل نابليون بونابرت وجنوده بعد فشل حملتهم على مصر في القرن التاسع عشر هذا المخدر إلى أوروبا. وكانت معرفة الولايات المتحدة الأمريكية به في بدايات القرن العشرين، حيث نقله إليها العمال المكسيكيون الذين وفدوا إلى العمل داخل الولايات المتحدة.

ثالثاً: الأفيون

أول من اكتشف الخشخاش (الأفيون) هم سكان وسط آسيا في الألف السابعة قبل الميلاد ومنها انتشر إلى مناطق العالم المختلفة، وقد عرفه المصريون القدماء من الألف الرابعة قبل الميلاد، وكانوا يستخدمونه علاجاً للأوجاع، وعرفه كذلك السومريون وأطلقوا عليه اسم نبات السعادة، وتحدثت لوحات سومرية يعود تاريخها إلى ٣٣٠٠ ق.م عن موسم حصاد الأفيون، وعرفه البابليون والفرس، كما استخدمه الصينيون والهنود.

ثم انتقل إلى اليونان والرومان ولكنهم أساءوا استعماله فأدمنوه، وأوصى حكماءهم بمنع استعماله، وقد أكدت ذلك المخطوطات القديمة بين "هوميروس" و"أبو قراط" و"من أرسطو" إلى "فيرجيل".

وعرف العرب الأفيون منذ القرن الثامن الميلادي، وقد وصفه ابن سينا لعلاج التهاب غشاء الرئة الذي كان يسمى وقتذاك "داء ذات

الجنب" وبعض أنواع المفضل، وذكره داود الأنطاكي في تذكرته المعروفة باسم "مذكرة أولى الآباب والجامع للعجب العجائب" تحت اسم الخشخاش. وفي الهند عرف نبات الخشخاش والأفيون منذ القرن السادس الميلادي، وظلت الهند تستخدمه في تبادلاتها التجارية المحدودة مع الصين إلى أن احتكرت شركة الهند الشرقية التي تسيطر عليها إنجلترا في أوائل القرن التاسع عشر تجارتها في أسواق الصين. وقد قاومت الصين إغراق أسواقها بهذا المخدر، فاندلعت بينها وبين إنجلترا حرب عرفت باسم حرب الأفيون (١٨٣٩ - ١٨٤٢) انتهت بهزيمة الصين وتوقيع معاهدة نانكين عام ١٨٤٣ التي استولت فيها بريطانيا على هونج كونج، وفتحت الموانئ الصينية أمام البضائع الغربية بضرائب بلغ حدها الأقصى ٥٪.

واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية الدخول إلى الأسواق الصينية ومنافسة شركة الهند الشرقية في تلك الحرب، ف وقعت اتفاقية معاهدة عام ١٨٤٤، وكان من نتائج تلك المعاهدات الانتشار الواسع للأفيون في الصين، فوصل عدد المدمنين بها عام ١٩٠٦ على سبيل المثال ١٥ مليوناً، وفي عام ١٩٢٠ قدر عدد المدمنين بـ ٢٥٪ من مجموع الذكور في المدن الصينية. واستمرت معاناة الصين من ذلك النبات المخدر حتى عام ١٩٥٠ عندما أعلنت حكومة ماوتسي تونغ بدء برنامج فعال للقضاء على تعاطيه وتنظيم تداوله.

رابعاً: المورفين

وهو أحد مشتقات الأفيون، حيث استطاع العالم الألماني "سير تبرز" عام ١٨٠٦ من فصله عن الأفيون، وأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى الإله "مورفيوس" إله الأحلام عند الإغريق. وقد ساعد الاستخدام الطبي للمورفين في العمليات الجراحية خاصة إبان الحرب الأهلية التي اندلعت في الولايات المتحدة الأمريكية (١٨٦١) ومنذ اختراع الإبرة الصينية أصبح استخدام المورفين بطريقة الحقن في متناول اليد.

خامساً: الهيروين

وهو أيضاً أحد مشتقات المورفين الأشد خطورة، اكتشف عام ١٨٩٨ وأنتجته شركة "باير" للأدوية، ثم أسىء استخدامه وأدرج ضمن المواد المخدرة فائقة الخطورة.

سادساً: الأمفيتامينات (المنشطات)

تم تحضيرها لأول مرة عام ١٨٨٧ لكنها لم تستخدم طبيًا إلا عام ١٩٣٠، وقد سوّقت تجاريًا تحت اسم البنزورين، وكثر بعد ذلك تصنيع العديد منها مثل الكيكيدرين والمستيدرين والريتالين. وكان الجنود والطيارون في الحرب العالمية الثانية يستخدمونها ليواصلوا العمل دون شعور بالتعب، لكن استخدامها لم يتوقف بعد انتهاء الحرب، وكانت اليابان من أوائل البلاد التي انتشر تعاطي هذه العقاقير بين شبابها حيث قدر عدد اليابانيين الذين يتعاطونها بمليون

ونصف المليون عام ١٩٥٤، وقد حشدت الحكومة اليابانية كل إمكاناتها للقضاء على هذه المشكلة ونجحت بالفعل في ذلك إلى حد كبير عام ١٩٦٠.

سابعاً: الكوكايين

عرف نبات الكوكا الذى يستخرج منه الكوكايين فى أمريكا الجنوبية منذ أكثر من ألفى عام، ويتشرب استعماله لدى هنود الأنكا، وفى عام ١٨٦٠ تمكن العالم "ألفرد نيمان" من عزل المادة الفعالة فى نبات الكوكا، ومنذ ذلك الحين زاد انتشاره على نطاق عالمى، وبدأ استعماله فى صناعة الأدوية نظراً لتأثيره المنشط على الجهاز العصبى المركزى، ولذا استخدم بكثرة فى المشروبات الترويحية وبخاصة الكوكاكولا، لكنه استبعد من تركيبها عام ١٩٠٣، وروجت له بقوة شركات صناعة الأدوية وكثرت الدعايات التى كانت تؤكد على أن تأثيره لا يزيد على القهوة والشاي، ومن أشهر الأطباء الذين روجوا لهذا النبات الطبيب الصيدلى الفرنسى "أنجلو ماريان"، واستخدمته تلك الشركات فى أكثر من ١٥ منتجاً من منتجاتها.

وانعكس التاريخ الطويل لزراعة الكوكا فى أمريكا اللاتينية على طرق مكافحته فأصبحت هناك إمبراطوريات ضخمة - تنشر فى البيرو وكولومبيا والبرازيل - لتهيئه إلى دول العالم، وتمثل السوق الأمريكية أكبر مستهلك لهذا المخدر فى العالم.

ثامناً: القات

شجرة معمرة يتراوح ارتفاعها ما بين متر إلى مترين، تزرع في اليمن والقرن الأفريقي وأفغانستان وأواسط آسيا.

اختلف الباحثون في تحديد أول منطقة ظهرت بها هذه الشجرة، فبينما يرى البعض أن أول ظهور لها كان في تركستان وأفغانستان، يرى البعض الآخر أن الموطن الأصلي لها يرجع إلى الحبشة.

عرفته اليمن والحبشة في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث أشار المقرئزي (١٣٦٤ - ١٤٤٢) إلى وجود ".. شجرة لا تثمر فواكه في أرض الحبشة تسمى بالقات، حيث يقوم السكان بمضغ أوراقها الخضراء الصغيرة التي تنشط الذاكرة وتذكر الإنسان بما هو منسى، كما تضعف الشهية والنوم" ..

وقد انتشرت عادة مضغ القات في اليمن والصومال، وتعمقت في المجتمع وارتبطت بعادات اجتماعية خاصة في الأفراح والمآتم وتمضية أوقات الفراغ، مما يجعل من مكافحتها مهمة صعبة. وكان أول وصف علمي للقات جاء على يد العالم السويدي "بير فورسكال" عام ١٧٦٣.

عالمية مشكلة المخدرات

يعتبر الإدمان على المخدرات في عصرنا هذا ضريبة المجتمعات الحرة المتقدمة، وقد تعقدت المشكلات وتفاقت واستعصت على الحل حتى على أيدي أبرع العلماء والخبراء. فلم تعد المشكلة قاصرة على نوع واحد من المخدرات أو على قطر معين أو طبقة محددة من المجتمع.

أيضا توجهت في أقطار الأرض من مشرقها أو مغربها أذهلك انتشار الإدمان على المخدرات في جميع الطبقات بعد أن كان مقتصرًا في الماضي على الطبقات الراقية المترفة.

وتعتبر مشكلة المخدرات في الوقت الراهن من أكبر المشكلات التي تعاني منها دول العالم لما لها من أضرار جسيمة على النواحي الصحية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية. لقد أصبحت المخدرات متفشية في كل أنحاء العالم نظرًا لتنوع المخدرات وانتشار تجارتها بصورة واسعة، فيقع الإنسان فريسة الإدمان من جهل وضعف النوازع الدينية مما ينتج عنه آثار وأضرار خطيرة على صحة الفرد والمجتمع، كذلك على اقتصاد الوطن من جراء فقدانه عنصرًا فاعلًا وهو الشباب، فبهم تبنى الدول حاضرها وتشق الطريق إلى مستقبلها.

ففي خلال السنوات الماضية ظهرت في الأسواق مركبات عديدة

جديدة تتمتع بتأثير واضح على الجهاز العصبي والدماغ، وتؤدي إلى انحراف عقلي واضح، حتى أن كثيرًا منها يؤدي إلى الاستعباد نتيجة الإدمان والحاجة الماسة للمخدر التي تنشأ عن هذا الإدمان.

وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الدول لمحاربة المخدرات والقضاء عليها وتعقب مروجيها وعلاج مدمنيها، إلا أن المخدرات أصبحت آفة تطالنا كل يوم بوجهها القبيح تدمر مقومات المجتمع وتقيض كيانه الاقتصادي والأمني.

ويوجد اعتقاد خاطئ شائع بأن من تعاطى المخدرات بومًا لن يقلع عنها أبدًا.

إن تقدير حجم مشكلة الإدمان أمر بالغ الصعوبة، حيث إن المدمن لا يعلن عن نفسه، وعلى العموم فإن الدراسات تشير إلى أن الإدمان في تزايد مستمر عالميًا ومحليًا ويشاهد الإدمان في الطبقات الدنيا أكثر من الطبقات العليا، ولدى المنحرفين والمجرمين أكثر من الأسوياء، ويوجد لدى الذكور أكثر من الإناث، ولدى النساء أكثر من السعداء، ولدى الشباب أكثر من الأعمار الأخرى.

إن "انتشار المخدرات... أخطر ما يهدد دول العالم" هكذا بدأ السفير شعيب مولاه السكرتير العام المساعد للأمم المتحدة للشئون الاقتصادية والاجتماعية حديثه عن المخدرات في أثناء زيارته للرياض للمشاركة في أحد المؤتمرات الدونية في حديث أدلى به لـ (الأمن والحياة) العدد ٤٩، سنة ١٤٠٦ هـ، بأن مشكلة تعاطى المخدرات

وتهريبها والإتجار بها من المشكلات الكبرى التى تحتاج العالم بأسره. ومنذ أن عرف المجتمع الدولى مدى خطورة هذه المشكلة وهو يبذل كل الجهد فى محاربتها بشتى أنواعها بوضع أنظمة للرقابة عليها.

وتحرص التقارير الصادرة عن أجهزة هيئة الأمم المتحدة المهتمة بمشكلة المخدرات على تأكيد الصلة بين جرائم الإتجار غير المشروع فى المخدرات من ناحية وجرائم العنف والإرهاب من ناحية أخرى.

وإن الأرقام تدل على مدى تفاقم الداء وضرورة الحد منه والوقاية والعلاج، حيث انتشر الإدمان على جميع المستويات والفئات؛ فالفقير يدمن، والغنى يدمن، والصغير يدمن وكذلك الكبير، وتفرض المرأة استخدام المهدئات ويدمن الرجل استعمال الأدوية.

أما على صعيد العالم العربى والإسلامى.. فقد وجد المهربون فيها أسواقاً رابحة. وكان السبب فى ذلك أساليب الاستعمار الذى يسعى إلى تحقيق انتشار المخدرات لتدمير الشعوب والتمكن من السيطرة عليها واستغلالها بهذه السموم. وسبب انتشارها فى العالم الإسلامى هو اعتقاد ضعفاء المسلمين أن الإسلام لا يحرم تعاطى المخدرات حيث إن المخدرات لم تكن معروفة وقت نزول القرآن الكريم. ولكنها لم تكن حجة قوية تبرر موقفهم، فهناك أسباب أقوى دعت إلى أن تصبح مشكلة المخدرات عالمية.